(٢٥) خطبة له ﷺ
فى التبشير بمستقبل
الإسلام والمسلمين

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قام ليلة بمكة، من الليل، فقال:

« **اللهمَّ هلْ بلَّغْتُ** »(١) ـ ثلاثَ مرَّات ـ فقام عمر بن الخطاب، وكان أوَّاهاً (٢)، فقال: اللهمَّ نعمْ(٣)، وحرَّضتَ وجهدتَ ونصحتَ، فقال:

« **ليظهرنَّ(٤) الإيمانُ حتى يُردَّ الكفرُ إلى مَواطنهِ(٥) ولتخاضنَّ البحارُ بالإسلامِ(٦)، وليأتينَّ على النَّاس زمانٌ يتعلَّمون فيه القرآنَ، يتعلَّمونَهُ وَيقرأونَهُ (٧)، ثم يقولونَ قد قَرأنا وعَلِمْنَا، فمنْ ذَا الَّذِى**

---

(١) إنه يشهد الله تعالى على أنه قد بلغ البلاغ المبين وأنه خرج من تبعة التقصير والكتمان فلم يأل قومه جهداً فى النصيحة والبيان.

(٢) أى: كثير التأوه من خشية الله تعالى.

(٣) يعنى أن عمر شهد له بذلك وصدقه.

(٤) من الظهور ـ بمعنى العلو والغلبة.

(٥) يعنى: ينخذل أمام الإيمان ويتقهقر حتى يرجع من حيث جاء.

(٦) أى: ليركبن جنود المسلمين البحار غازين فاتحين.

(٧) يعنى: تروج فيه سوق العلم والقراءة بسبب وفرة الطمأنينة وكثرة المال.

هو خيرٌ منَّا ؟[1] **فهلْ فِى أولئكَ مِنْ خيرٍ »**[2] . قالوا : يا رسول الله ، مَنْ أولئك ؟ . . قال :

«أُولئكَ منْكم ، وأُولئكَ هُمْ وَقُودُ النَّار » .

(رواه الطبرانى فى الكبير ، وإسناده حسن ، إن شاء الله تعالى)

فى هذه الخطبة الجامعة ـ كما قرأنا ـ يبشر الرسول ﷺ بمستقبل الإسلام والمسلمين الذى ما كان وما سيكون إلا بسبب جهاد الرسول ﷺ وجهاد أصحابه الفضلاء والتابعين لهم بإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فى سبيل الله تعالى حتى انتشر الإسلام وذاع وشاع ، وحتى ملأ البقاع .

وهذا معناه : أن الجهاد فى سبيل الله ، والصبر على الأعداء : لابد لهما من النتائج الحسنة التى من أهمها إعلاء كلمة الله ، والانتصار على أعداء الله ، أياً كان عددهم وعتادهم .

وإذا كان الرسول ﷺ قد أشار إلى هذا ، فإنه كذلك قال فى حديث رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه ، والنسائى عن أبى مسعود رضي الله عنه :

---

(١) أى : يعجبون بما بلغوه من درجة عالية فى القراءة والعلم حتى يظنوا أن لا أحد خير منهم .

(٢) يعنى أنه لا خير فيهم أصلاً فإن العُجْبَ قد أتى على ذلك كله وأفسده كما يفسد السُّوسُ الحَبَّ ، وكما يفسد الخلُّ العسلَ .

« **بَدَأَ الإسْلامُ غَرِيباً**[1] **وسَيعودُ غَرِيباً كَما بَدأ ، فَطُوبَى لِلغُرَباءِ** ».

ورواه الطبرانى وأبو نصر فى «الإبانة» عن عبد الرحمن بن سنة ، بلفظ : « **إنَّ الإسْلامَ بَدَأَ غَرِيباً وسَيعودُ غَرِيباً فطُوبَى لِلغُرَباءِ** » . قيل : يا رسول الله . . وما الغرباء ؟ . . قال :

« **الذينَ يصلحونَ عندَ فَسادِ النَّاس** » .

وهذا معناه كذلك أنه لا بد وأن يتنبَّه المسلمون ويحرصوا على ضرورة أن يكونوا من المجاهدين فى سبيل نشر هذا الدين وإعلاء كلمته ، وإذا حدث ـ لا قدّر الله ـ وعاد الإسلام غريباً ـ فى زمانهم ـ كانوا من المعتصمين بكتاب الله تبارك وتعالى ومن المستمسكين بسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

مع ضرورة العمل على تعلمهم للقرآن وكثرة قراءتهم له ، دون غرور أو رياء ، وإلا كانوا وقوداً للنار كما قال الرسول ﷺ فى نهاية هذه الخطبة .

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) روايات الحديث « بدأ » بالفعل المبنى للفاعل ، وضبطه الإمام النووى بالهمز بناء على الرواية وهو من «البدء» بمعنى الابتداء ، وكان غريباً لسبق الكفر عليه وإنكار الكفرة له ، وسيعود غريباً ، أى : لغلبة الجهالة وكثرة الضلالة ، فكان فى الزمان الأول كالغريب لا يعرفه أحد ، ومتى تركه أهله وانصرفوا عنه عادت له الغربة .

« **يظهرُ الإسْلامُ حتَّى تختلفَ التُّجَّارُ فى البَحْرِ[1] ، وحتَّى تخوضَ الخَيْلُ فى سَبيل الله[2] ، ثمَّ يظهر قومٌ يقرءونَ القُرآن يقولونَ مَنْ أقرأُ مِنَّا ؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟ مَنْ أَفْقَهُ[3] مِنَّا ؟** ». ثم قال لأصحابه : « **هَلْ فى أُولئكَ مِنْ خيرٍ؟** ». قالوا : اللهُ ورسولُه أعلم . قال : « **أولئكَ مِنكم، من هذهِ الأمَّة ، وأولئكَ هُمْ وَقُودُ النَّار** » .

(رواه الطبرانى فى الأوسط ، والبزار بإسناد لا بأس به ، ورواه أبو يعلى والبزار والطبرانى أيضاً من حديث العباس بن عبد المطلب)

والله أسأل أن يثبِّتنا على الحق ، ويختم لنا بالإيمان غيرَ خَزَايا ولا مفتونين . . آمين .

* * *

(١) أى : يكثر ذهابهم ومجيئهم للتجارة .
(٢) أى : تعبر لجة الماء غازية فى سبيل الله .
(٣) أى : يعجبون بتفوقهم فى ذلك حتى يفسدهم العُجْب .